اذ لا يرون حسن الايمان وقبح النفاق لانهم عمى فهم وان امكنهم الاقالة لا
يرجعون عن ضلالتهم الى هديهم او مثلهم في اشتراء الضلالة بالهدى كصيب من
السماء اى كمثل مستبدل مكان مطر كثير من السماء وهو نظير الاسلام الذي هو
مكان مطر العلوم النافعة بمكان لا صيب فيه وهو نظير الكفر الذي ليس في مكانه
مطر علم نافع المستبدلوا مكان الصيب لما فيه من اذيات اذ فيه ظلمات ظلمة
تتابع القطر وظلمة الغمام وظلمة الليل ورعد هو الصوت المسموع من السحاب
باصطكاك او خرق وبرق ما يخرج منه من الاجزاء المحترقة الدخانية التي
فيها دهنية بالحرق ولا شئ من ذلك في مكان لا صيب فيه كذلك في الاسلام
اذيات مطاعن الجهال والجهاد والهجرة من الاهل والاموال ورعد الوعيد على
المعاصي وبرق الدلايل المانعة من استيفاء الشهوات وامضاء الغضب بل كما
ان الهاربين من مكان المطر يجعلون اصابعهم اى اناملهم في صماخ في اذانهم
خوفا من تاثير اصوات الصواعق جمع صاعقة نار تنزل من السحاب يجعلونها فيها
حذر الموت من تاثيرها فكذلك هولاء يجعلون اصابعهم في اذانهم من سماع الوعيد
ليلا يلجيهم الى اخلاص الايمان الذي يرونه موتا بفوات ما الفوه من دين ابائهم و
هولاء وان هربوا من سماع الوعيد فلا يفوتونه اذ الله محيط بالكافرين محيط بهم قهره
اينما هربوا ثم انه كما يخاف الهاربون من المطر لاجل البرق اذ يكاد البرق يخطف
اى يعمى ابصارهم كذلك هولاء يخافون من برق الدلايل ان يخطف ابصار شبهاتهم
وكما ان الهاربين من ماء المطر كلما اضاء العالم بالبرق لهم مشوا فيه كذلك هولاء المنافقون
اذا راوا غلبة نور الاسلام مشوا فيه وكما ان الهاربين اذا اظلم العالم عليهم بذهاب
البرق قاموا كذلك هولاء اذا ظهرت لهم اذية قاموا في كفرهم ظاهرين به فهذا
مثلهم لكنهم لا يسمعونه ولا يبصرون ما فيه لذهاب سمعهم وابصارهم الباطنة ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم الظاهرة ايضا كما لو شاء لذهب بسمع
الجاعلين اصابعهم في اذانهم من الصواعق وابصار الخايفين من البرق بل لو
شاء لذهب بهما من غير صاعقة ولا برق ان الله على كل شئ قدير فلا يحتاج
الى سبب ولا يمنعه مانع ثم اشار بان هذا التمثيل لا يفيد علما فلا يعارض الدليل
القاطع على وجوب عبادة الله بالاسلام له والانقياد لاحكامه فقال يا ايها الناس
اى يا من نسي الاصل الذي يتمسك به في مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف

اعبدوا

اعبدوا ربكم فان مقتضى حقيقة الرب ان يكون معبودا وحقيقة العبد ان يكون عابدا
سيما اذا انعم عليه باجل النعم وهو الايجاد وما يتوقف عليه اذ هو الذي خلقكم والذين
من قبلكم من مقدمات وجودكم فهذا الخلق يقتضي اجل وجوه الشكر هو العبادة
لعلكم تتقون سخط ترككم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم واهمالكم شكر اجل نعمه ثم
التمثيل مقلوب عليكم على ابلغ الوجوه وهو انما جعلتموه مشبها به للهرب عن الاسلام
اولى بان يكون من اسبابه باعتبار ذاته ومبدائه ومنتهاه وما يحصل منه اذ هو
الذي جعل لكم الارض فراشا اى وطاء قرركم عليها بان جعل بعض اجزائها بارزة
عن الماء مع اقتضاء طبعه الاحاطة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتقعدوا
وتناموا عليها كالفراش والسماء بناء اى سقفا مرفوعا تستظلون به عن اشعة
انوار الملايكة العلوية وانزل من بعض اوضاع السماء في حال حركاتها ماء
لانبات النبات الحامل مواد الثمرات فاخرج به من الثمرات اذ جعل في السماء
قوة فاعلة وفي الارض قابلة يتولد من اجتماعهما انواع النبات والثمار لتكون
رزقا لكم وكما تفرد بهذه الانعامات افردوه بالعبادة فلا تجعلوا لله اندادا
اى امثالا في استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك في الالهية والصفات
الكمالية وانتم تعلمون انه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء ولا الارض ولا
انزل الماء ولا اخرج الثمرات وهذا هو الاسلام الذي يقتضيه المطر مع لواحقه
ولم يمنع طاعة الغير اذ هي امتثال امر من له الامر كالرسول والحاكم بخلاف
العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية العظمة ولما كانت العبادة
مقتضى ذات الرب والعبد ومقتضى انعامه عليه لم يكن بد منها في الحكمة ولما
كانت امتثال الامر وهو اما بالكتاب او بالسنة او بالاجماع او بالقياس
واصل الكل الكتاب لم يكن منه بد ولما لم يتم شانه الا بنفي الريب عنه نفى
عنه باعجازه فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا يشير الى انه لا ينبغي
ان يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة فان فرض فلا ينبغي ان يدوم لوجود
ما يزيله بحسب المعنى فان دام فلا ينبغي ان يحيط بالجوانب احاطة الظرف بالمظروف
لظهور محاسنه فان كان فغايته ان يكون نوعا او فرادى فان كنتم فيه مع
انا جعلناه معجزا حال تفرقته في الانزال فحال الاجتماع اشد اعجازا ودل
اعجازه على انه من مقام عظمتنا ولا يبعد لكون المنزل عليه عبدا منسوبا اليه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)